

## الشخصية التاريخية للمجتمع العراقي

د. ستار نوري العبودي

جامعة بابل/ مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

### المقدمة

ما زال البحث في موضوعات التاريخ الاجتماعي بشكل عام محدوداً، ويعود السبب في ذلك الى ان مثل هذه الموضوعات لم تتل النصيب الوافي من اهتمام الباحثين المختصين في هذا الميدان، لاسيما ان عدد الباحثين في هذا الميدان، ما زال هو الآخر محدوداً، فضلاً عن ان عدد المهتمين بهذا النوع من الدراسات والبحوث من ذوي الاختصاصات القريبة منه (كعلم الاجتماع، وعلم النفس والتاريخ) بوجه عام، هو الآخر قليل، على الرغم من ان أستاذنا المرحوم الدكتور علي الوردي قد قطع شوطاً مهماً في هذا الميدان، الا ان هناك موضوعات أخرى شتى تنتظر جهود الباحثين للقيام بالعديد من الدراسات فيها.

وتأتي دراستنا هنا محاولة في هذا المجال، وهي دراسة موجزة في الكثير من مفاصلها.. وتتناول تمهيداً يوضح بايجاز مفهومنا (الشخصية التاريخية) وموضوعين رئيسيين هما: أولاً: العوامل الموضوعية المؤثرة في تكوين المجتمع العراقي: ومن بين تلك العوامل المؤثرة في تلك الشخصية (الموقع الجغرافي والطبيعة المناخية والفيضانات والأوبئة المدمرة وصراع الثقافات المتنوعة في تكوين المجتمع العراقي وظاهرة الاحتلالات الأجنبية المتكررة فضلاً عن أنظمة الحكم المحلية التي اتصفت بالقمع والاستبداد بحيث تجاوزت مظاهر الاستبداد الأجنبي. ثانياً: صفات المجتمع العراقي المتأصلة (الحقائق الذاتية) التي منحته خصوصية خاصة ميزته عن بقية المجتمعات الأخرى. وينتهي البحث بخاتمة تمثل خلاصة ما توصل اليه البحث من استنتاجات.

### التمهيد:

وقبل الدخول في تفاصيل البحث.. ربما يكون من المفيد توضيح موجز وسريع لاصطلاح (الشخصية التاريخية للمجتمع)، الوارد في بحثنا هنا.. والحقيقة التي لا بد من تأكيدها منذ البداية، هي ان (مفهوم الشخصية) بصورة عامة، هو واحد من الموضوعات التي اختلفت بشأنها الآراء كثيراً بين علماء النفس بشكل عام وأصحاب مدرسة التحليل النفسي بشكل خاص، وكان جل اهتماماتهم قد وُجّهت الى دراسة الحالة الفردية<sup>(١)</sup>. كما تعددت فيه الآراء والتعريفات بتعدد المدارس

الاجتماعية والحضارية، بل تباينت فيه النظريات في مختلف العلوم المذكورة حسب آراء المفكرين والعلماء الذين أبدعوا في دراساتهم وبحوثهم النظرية والميدانية. ووصل التباين في دراسة الشخصية، أحيانا الى درجة التناقض بين هذه المدرسة أو تلك<sup>(٢)</sup>.

فقد اهتم علماء النفس قديما بالمظاهر الخارجية للشخصية وما ترتب عليها من سلوك معين يمكن ان يؤثر في الأفراد الآخرين. او بعبارة أدق، ركز أولئك العلماء اهتمامهم على السلوك الظاهري للفرد، في حين تجاهلوا المضامين الداخلية كاتجاهات ودوافع وقيم<sup>(٣)</sup>، لكن ذلك لا يعني نكوصاً أو خطأً أو حتى خللاً في الطروحات أو التنظير، بل على العكس من ذلك، يشير الى أهمية موضوع الشخصية وحساسيته ودقته وخطورته، الذي لا يمكن أن تستوعبه نظرية واحدة جامعة في كل أبعادها وآفاقها<sup>(٤)</sup>.

اما علماء الاجتماع فقد نظروا الى موضوع الشخصية من زاوية أخرى مختلفة عن الزاوية التي نظر فيها علماء النفس، فقد ذكر عالم الاجتماع الفرنسي الشهير دوركهايم قائلاً:

" الانسان حيوان اجتماعي، والانسان ليس انسانا الا لأنه يعيش في مجتمع"<sup>(٥)</sup>. وعليه فان أستاذنا المرحوم الدكتور علي الوردي رأى في شخصية الفرد، جزء من شخصية المجتمع قائلاً: " شخصية الانسان تسبك في قوالب يصنعها المجتمع. ولهذا نرى أنباء المجتمع (الواحد) متشابهين في كثير من صفاتهم الشخصية، انهم يتفاوتون عادة في الكثير من دقائق الصفات العامة، تفاوتنا يجعل لكل فرد منهم شخصيته الخاصة به، ولكنهم رغم ذلك يتشابهون في الخطوط الشخصية الرئيسية لتلك الصفات"<sup>(٦)</sup>. وهذا يعني ان المجتمع حاضر في صميم كل فرد، ولهذا فان هنالك ترابطاً كبيراً بين شخصية الفرد في اطار الشخصية المجتمعية العامة. وهكذا نرى ان علم الاجتماع درس ويدرس الظواهر الاجتماعية المتعلقة بالجماعات البشرية، او دراسة الحياة الاجتماعية للبشر سواء بشكل مجموعات أو مجتمعات، او يقوم أحيانا بدراسة التفاعلات الاجتماعية. وعليه يمكننا القول انّ (شخصية المجتمع) او (الشخصية المجتمعية) في أية مرحلة من مراحل تاريخه، هي عبارة عن:

[ كل متفاعل لمجمل المكونات المكانية او الجغرافية (الطبيعية والبشرية)، والتطورات الحاصلة فيه عبر زمن محدد (التاريخ)، والتفاعلات الحاصلة فيها من خلال العوامل المؤثرة لمختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية (بما فيها الديانات والعقائد المختلفة)، اي (الكيمياء الاجتماعية) الناتجة عن ذلك المجتمع ].

او بعبارة موجزة أخرى فان شخصية المجتمع هي: نتاج تفاعل لمجمل المكونات المكانية والزمانية والعوامل المؤثرة الأخرى، لمجتمع من المجتمعات، صغيرا كان ام كبيراً ((.

ومفهومنا هنا (للشخصية الاجتماعية)، ربما لا يختلف كثيرا في نظر البعض، عما تطرحه اليوم بعض النظريات المعاصرة في العلوم الاجتماعية، كمفهوم (الشخصية الأساس)، و(النموذج الثقافي)، الذي يحاول توضيح ذلك من خلال القول: ان (الانسان هو كائن ثقافي). وهذا يعني تنوع الثقافات بما يتناسب مع تنوع أشكال المجتمعات الانسانية. ومن ثم فان: حضارة كل مجتمع تقدم أنماطا معينة لشخصية نوعية خاصة به، ولاسيما ان تلك الخصوصية قد لوحظت بشكل فطري في العصور السابقة المختلفة، وألهمت نظريات ومبادئ (نفسية الشعوب) من هيرودوت (٤٨٠-٤٢٥ ق.م) الى ابن خلدون [ (٢٧مايو/أيار) ١٣٣٢ - ١٩ (مارس/آذار) ١٤٠٦م ] ، ومن أرسطو (٣٨٤ ق.م - ٣٢٢ ق.م) الى مونتيسكو [ ١٨ (يناير/كانون أول) ١٦٨٩ . ١١ (فبراير/شباط) ١٧٥٥م ]. غير ان تلك الخطوات الأولى تبقى في حدود ما قبل - العلم وتعلق بمسيرة انطباعية أكثر منها مقارنة دقيقة. ولذلك لم تبدأ مسألة (الهوية الجماعية)، تأخذ صيغا أكبر الا مع (الأنثروبولوجيا الثقافية الأمريكية)، وخصوصا من خلال نظريات (انثروبولوجيا الثقافة)<sup>(٧)</sup>، التي تعني العلاقة بين (الأنثروبولوجيا) و(الثقافة)<sup>(٨)</sup>، وهما من عائلة واحدة، أي عائلة علم الانثروبولوجي (علم الانسان)، والثقافة لها اسهامها الخلاق في مجال التنمية الانسانية، لأنها انطلقت من معرفة حقيقية بالانسان وعلاقته الوثيقة بثقافته والتأثير المتبادل بينهما. هذا كله من الناحية النظرية العامة.

وعلى الرغم من ذلك يجب التنبيه على ان هنالك من يرى ان التوقع في اطار منهج واحد دون غيره في الحكم على تحديد ملامح شخصية مجتمع ما، يعد أمرا فيه شيء من التعسف العلمي أو المعرفي. ولذلك لا يجوز تحليل الشخصية العراقية المجتمعية، من منظور (سمات الانسان الفرد أو من خلال البيئة الاجتماعية أو حاجات الانسان، أو المنظور الوجودي، أو الاشتراكي، أو الديني) فقط، وإنما يجب البحث الحقيقي والكامل عن الشخصية المجتمعية<sup>(٩)</sup> العراقية ودراستها، وسيكون ذلك من خلال دراسة مختلف العناصر الأساسية والمساعدة التي تؤثر في مجمل تفاعلات الأفراد مع البيئات المادية والاجتماعية العراقية المختلفة.

ومع اقرارنا بأهمية تلك النظريات والمناهج الكثيرة الأخرى في علوم (الاجتماع والأنثروبولوجيا والنفوس والتاريخ والحضارة والجغرافية) في دراسة المجتمع العراقي، الا ان رؤيتنا الخاصة هنا، تحاول الانطلاق من زاوية علمية أخرى للموضوع بالاستفادة من جميع الحقائق التي رشحت عن مختلف تلك العلوم، فضلا عن بقية العلوم الأخرى، من خلال دراستها لمختلف العوامل الذاتية والموضوعية للمجتمع العراقي عبر التاريخ ككل وليس مرحلة تاريخية بعينها. ولهذا كله سنحاول معرفة تفاعلات مختلف العناصر الأساسية او المساعدة الداخلة او المؤثرة في خلق نفسية خاصة بالمجتمع العراقي في مختلف المراحل التاريخية. والانفتاح على مختلف المناهج والنظريات

العلمية المعرفية التي تناولت أي جانب من جوانب المجتمع العراقي في اي مرحلة من مراحل تاريخه المختلفة، وعلى ما يأتي:

**أولاً: العوامل الموضوعية او العناصر الأساسية المؤثرة في تكوين المجتمع العراقي:**

تتصل في تكوين المجتمع (أي مجتمع) جملة من الحقائق الموضوعية المهمة او ما يمكن تسميتها بـ (العناصر الأساسية)، ومن أهمها: العناصر الطبيعية او (المكانية) والعنصر الزمني او (التاريخي) فضلاً عن العنصر البشري.. ومجمل تلك الحقائق تؤثر في تكون شخصية المجتمع ونفسيته. ومن أجل معرفة حقيقة الشخصية العراقية الجمعية او المجتمعية، ينبغي لنا دراسة طبيعة العوامل الموضوعية المؤثرة في تلك الشخصية وأهمها:

**الموقع الجغرافي:** شكل وما زال يشكل الموقع الجغرافي الخاص بالعراق من النواحي السياسية والجيولوجية والبشرية عاملاً موضوعياً مهماً، اذ يلاحظ ان حدود العراق الطبيعية مفتوحة أمام معظم المناطق والدول المجاورة خلال مراحل الحرب والسلم وعبر التاريخ<sup>(١٠)</sup>، فنجد مثلاً تلك الحدود كانت في زمن ما قبل الاسلام موضع مطامع الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ومن ثم البيزنطية، فكان موقعه ساحة قتال متواصلة، او ما يصطلح عليه في العصر الحديث بـ (المجال الحيوي)، في موضوع (الجيوبولتكس)<sup>(١١)</sup>، كلما عَنَّ لأحد من الأباطرة توسيع امبراطوريته أو معاقبة الدول الأخرى على نزعاتها أو سلوك مواطنيها. وظل العراق ساحة مواجهات وحروب حتى بعد ظهور الاسلام بل حتى بعد انتقال مقر الخلافة الى الكوفة في العقد الثالث للهجرة، فقامت ثلاثة حروب على أرضه، هي (صفين والجمل والنهروان) ومن ثم وقائع (كربلاء والمختار وزيد بن علي). وحين تولّى العباسيون الحكم في العراق زمناً طويلاً تميزت في بعض أوقاتها بالرخاء والازدهار الا أنها لم تخل من صراعات داخلية مريرة كتصفية الأمويين والبرامكة والعلويين، وتوجت تلك الصراعات بالغزو المغولي على يد هولاكو عام ١٢٥٨م، وتم تدمير بغداد وقتل أهاليها وتحطيم منشأتها وحضارتها، ولم يزل الصراع الداخلي بين دويلات القلاع والتحصينات الحجرية التي كانت تتهاوى مرة تحت ضربات الجيوش الصفوية وأخرى تحت ضربات الجيوش العثمانية، وان هدأت تلك الضربات لبعض الوقت، وجدنا العراق أو بعضاً من أجزائه خضع لحاكم عربي أو وال مستبد سام أهله سوء العذاب بين القتل والتنكيل والتشريد وجمع الضرائب<sup>(١٢)</sup>.

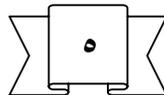
ولو أجرينا مقارنة بين الحدود الجغرافية للعراق والحدود الجغرافية لدول حضارية شرقية أخرى مقارنة له، كمصر او ايران او تركيا بل حتى الهند، لوجدنا أثر الموقع الجغرافي بوضوح تام. فقد أخبرنا أحد الأثريين العراقيين في هذا الصدد بقوله:

" يرتبط تاريخ العراق الجيولوجي بالكتلتين العربية والایرانية . الأناضولية التي تقع بينهما منطقة جبال زاغروس . طوروس " (١٣). ولا بد لنا من دراسة ما يتصل بهذا الموقع الجغرافي من حقائق بشرية، فالعراق يقع بين حافة (الصحراء العربية) من جهات الجنوب والغرب، ومعظم الأقسام الوافدة اليه من المنطقة العربية جاءت من الأقسام البدوية منذ أزمنة قديمة، من خلال الغزو او التسلسل المتكرر، وفي ذلك يقول لنا أستاذ علم الآشوريات في جامعة شيكاغو الأميركية (ليو وبنهايم) :

" لقد استقر البدو وماشيتهم في معسكرات شبه دائمية او انهم تنقلوا بين المراعي الصيفية والشتوية، وبقيت مساهمتهم لحضارة بلاد ما بين النهرين محدودة بحيث يجب عدم الاستخفاف بها. ان هذا العنصر البدوي مهما تكن طريقة حياته التخصصية المحدودة... يقدم لنا عاملا مهما والذي أصبح تأثيره واضحا في جوانب متعددة لحضارة بلاد ما بين النهرين " (١٤). وتجدر الاشارة الى ان تلك الهجرات ظلت مستمرة الى وقت قريب من العصر الحديث (١٥). ولعل أعداد البدو العرب المتوافدة على العراق في مراحل تاريخه المختلفة من شبه الجزيرة العربية (١٦)، هي السبب في ان يشكل العرب غالبية السكان في العراق أمام التوافد غير العربي (الغازي وغير الغازي) بشكل خاص. فضلا عن تعويضه لخسائره البشرية نتيجة الأوبئة (١٧)

كما توافدت على العراق أقوام جبلية (شمالاً وشرقاً) (١٨)، ومعظم تلك الأقسام الجبلية الوافدة اليه من بلاد فارس او بلاد الاناطول (فارسية، تركمانية) والأقسام المجاورة الأخرى من جهة ثانية، فضلا عن تواجد سكانه الأصليين القدامى من الأقسام (السومرية والبابلية والآشورية... الخ)، وبصرف النظر عن المسميات او النظريات الخاصة بتلك المسميات (١٩)، فان أرض العراق كانت وعبر التاريخ ملتقى ومصهرا اجتماعيا او (بوتقة اجتماعية) لعدة أقوام متنوعة متجاورة، دخلت في مخاض عسير من الصراع والحوار والتعايش السلمي، خاصة انه تمتع ومنذ القدم بثروات مختلفة كبيرة، طبيعية وغير طبيعية كافية لاستيعاب تلك الجماعات من جهة وخلق حالة من التفاعل والتوازن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، بين جميع تلك المكونات، عبر مسيرة طويلة من الزمن.

وترتب على ذلك كله، خلق مجتمع جديد (منصهر وممتزج ومتفاعل)، تمتع أفراد بهوية جديدة (العراقية)، بحيث أصبح المجتمع (الجديد) مختلفا عن المكونات او العناصر الأساسية الداخلة في تكوينه قديما. ذلك لان الفرد يوجد في مجتمع ما أولا ثم يكتسب هويته أو ماهيته لاحقا، " بمعنى أن الهوية ليست معطى مقدسا وثابتا ونهائيا، وانما هي معطى تاريخي في حالة صيرورة وحركة دائمين " (٢٠).



ولذلك فاننا نعتقد ان الفرد العراقي المنحدر عن جذر العنصر العربي، يختلف عن العربي اليمني او اللبناني او المغربي، بسبب عمليات التفاعل المكاني والزمني الطويل والانتصهار والتفاعل الاجتماعي مع الجماعات الداخلة في تكوين المجتمع العراقي المتجدد دائما من خلال عدة روابط (الزواج والعمل والسكن والدراسة والعسكرية والرياضة والفنون والنوادي الاجتماعية والأحزاب والوظيفة)، وغيرها من الروابط الأخرى. او التعرض المشترك لظروف (الغزو الأجنبي المتعدد الوجوه والقهر والاستبداد، والحروب، والحصار،....الخ) بين مختلف الجماعات. كذلك الحال مع العراقي المنحدر عن جذر العنصر الكردي، يختلف عن بقية الكرد في المناطق الأخرى، كتركيا او ايران مثلا. والحال ينطبق على العراقي المنحدر عن جذر العنصر التركماني، يختلف عن الأقسام التركمانية في تركيا، او مناطق أوربا الشرقية او غيرها، كذلك الحال مع بقية العناصر الأخرى المكونة للمجتمع العراقي.

وهذه التركيبة الاجتماعية، في تقديرنا، قد تفاعلت عبر أزمان طويلة وأجيال عديدة فخلقت مجتمع وحضارة جديدة، تختلف عن حضارة الأقسام التي انبثقت عنها هذه المكونات. ويمكن الاستدلال على ذلك بوضوح تام من قبل العراقي الذي كان قد سافر الى خارج العراق فشعر بان العراقي من أية جذور او أصول قومية كانت (عربية وكردية وتركمانية ام غيرها)، أو من أية ديانة (اسلامية كانت ام مسيحية ام صابئية ام يزيدية ام غير ذلك)، هو الأقرب له من حيث الطبيعة السلوكية والنفسية او العقلية، من العربي الليبي او التونسي او حتى الخليجي، او من المسلم الباكستاني او التركي او الهندي، وكذلك الحال بالنسبة للعراقي المسيحي او الصابئي او الأزدي، او سواهم من الديانات او الأقسام العراقية الأخرى، على ان ذلك لا يعني انفصالا كلياً عن العناصر القديمة المكونة لشخصية (الفرد) الاجتماعية من النواحي (القومية او الدينية)، وربما بقي تأثير تلك العناصر القديمة المكونة، لمراحل قادمة وبخاصة في حال استمرار تأثير العوامل السياسية والايدولوجية والاقتصادية.. ولذلك نجد ان بعض الدراسات والبحوث السياسية، التي تركز على أحد البعدين (القومي أو الطائفي) عند تناولها لمسألة الهوية، تغفل او تتغافل كلياً امكانية تعريف الهوية استناداً الى مقومات وطنية، وذلك اعتقاداً من أصحابها في أن الاقرار بالخصائص الوطنية للهوية يتعارض أو يتنافى أو يلغي الخصائص القومية او الطائفية أو كلتھما معاً، ولكن مثل هذا الاعتقاد لا يقوم على أسس حقيقية وانما هو مستمد من مخاوف سياسية لأصحاب الفكر او المشروع السياسي القومي او الطائفي.

ولعل التجارب التاريخية للعديد من الشعوب ومنها الشعوب الأوربية المعاصرة والتي كانت قد استخدمت من قبل (الشعارات او الأفكار القومية، او الدينية) عبر مراحل مختلفة من التاريخ، وخاضت [الحروب الصليبية (الطائفية)، القومية الاستعمارية]، في حين أثبتت التجارب الواقعية

الحالية، امكانية تحقيق وحدة جديدة وهوية جديدة مختلفة عن الهويات السابقة، تلك هي الهوية (الأوربية) (٢١).

## ٢. الطبيعة المناخية المتقلبة والقاسية بشكل شبه دائم.

لاحظ ويلاحظ زوار العراق الأجانب وفي مختلف المواسم والفصول المناخية تقريبا، ان الطقس اليومي في معظم مناطق العراق يتميز بالتقلب خلال اليوم الواحد، بحيث يشعر المرء في أيام عديدة من السنة بتوالي (البرد والغبار والغيوم والمطر والطقس المعتدل، ثم الحر)، أي يعيش المرء (أربعة مناخات) في اليوم الواحد تقريبا!؟.

اما المناخ العام، فيلاحظ في العراق، " ان الشتاء شديد البرودة قارص جدا، والصيف شديد الحرارة وطويل الأجل ونسبة الحرارة في الظل كنسبة الفرق بين ٢٠ و ١٢٠... على حد تعبير أحمد سوسة(٢٢)، ومما لا شك فيه ان تقلب الطقس والمناخ له انعكاس واضح على مزاج الفرد العراقي ومن ثم على شخصية الفرد والمجتمع العراقي ككل.

## ٣. الفيضانات والأوبئة المدمرة:

من الملاحظ ان فيضانات انهار (دجلة والفرات)، ذات طبيعة قاسية او مدمرة بالقياس الى انهار العالم الأخرى، فمثلا يلاحظ ان نهر (النيل) في مصر يفيض في أشهر (آب وأيلول وتشيرين الأول) وهي الأشهر التي تحتاجها الزراعة ويحمل من الغرين ما هو مفيد للأرض الزراعية من دون ان يؤدي الى تدمير قنوات الري. اما دجلة والفرات فان فيضانهما في أشهر الشتاء والربيع من (كانون الأول الى حزيران) ويعقب أشهر الفيضان الصيف الحار، ولذلك فان نظام الري السائد في

مصر القديمة هو (الري الحوضي) في حين ان نظام الري السائد في العراق منذ القدم هو نظام (الري الدائم)، بسبب الحاجة الدائمة الى المياه في الزراعة. وذلك يستدعي تنظيم المياه التي تتوافد على العراق بشكل كبير ومفاجيء في موسم الشتاء التي تحتاجها الزراعة بكمية أقل، في حين تكون الشحة في موسم الصيف حين تحتاج اليها الزراعة، فالتصريف المائي لنهر دجلة في أثناء الفيضان في بغداد مثلا يبلغ (١٠٠٠٠) متر مكعب في الثانية او أكثر، في حين ينخفض تصريف المياه في فصل الصيف الى (٢٠٠) متر مكعب في الثانية او أقل. اما في نهر الفرات فيصل في أثناء موسم الفيضان الى (٥٠٠٠) متر مكعب في الثانية او أكثر، في حين ينخفض تصريف المياه في فصل الصيف الى ما يقارب نهر دجلة اي الى (٢٠٠) متر مكعب في الثانية او أقل. كما يتوجب الاشارة الى ان فيضان دجلة والفرات، هائل وبشكل مفاجيء والسيطرة عليه تحتاج الى نظام في غاية الدقة، في حين يفيض نهر النيل بانتظام ولا يخلق للذين يسكنون على ضفافه اي مشكلة، كما ان كمية الغرين في دجلة والفرات هي خمسة أضعاف ما يحمله النيل، اذ يحمل نهر النيل من الغرين في أقصى حدوده حوالي ٤٠٠٠ جزء من كل مليون اي بنسبة مئوية

(٤٠٠%)، في حين تبلغ كمية الطمي او الغرين في دجلة بعد الفيضان كمية تقدر ٢٠٠٠٠ جزء من كل مليون، أي ان النسبة المئوية هي (٢%)، ونسبة مقاربة له في نهر الفرات. وتجدر الإشارة هنا الى مسألة مهمة وهي ان رواسب الغرين، مع أهميتها في تأمين خصوبة دائمة للأرض الزراعية، تسبب اضرارا كبيرة في مجال الري في العراق، فتعيق مجرى مياه النهر مما يستدعي تطهير النهر منها بين الحين والآخر، كما ان تراكمها في اقواق الخزانات والحياض يؤدي الى تقلص كميات المياه. والمقارنة بين حضارة العراق وحضارة مصر على سبيل المثال، حسب رأي مستر (كون) في كتابه (قصة الانسان)، نجد في مصر نهرا واحدا، في حين يوجد في العراق نهرا حفر بينهما ببراعة شبكة قنوات حسب خطط تامة متقنة وان وجهتي البعد والانحدار من النظام الذي شيده العراقيون القدماء، وهذه الشبكة من الأنهار قربت المسافات بين المناطق المختلفة ولكنها سهلت حركة العصيان السياسي او العسكري من جهة ثانية، ولذلك لم يتم السيطرة على المدن العراقية بسهولة، فنجح النظام المركزي في مصر، لكنه واجه صعوبات عديدة في العراق<sup>(٢٣)</sup>.

ان شبكة الأنهار فضلاً عن مناطق الأهوار العراقية، غالبا ما وفرت أحد العناصر المهمة للتمردات او العصيان من وجهة نظر القانونيين او ما يطلق عليها من لدن السياسيين بالانتفاضات او الثورات ولاسيما في العصور السابقة، بسبب طبيعة وسائل المواصلات المستخدمة في العمليات العسكرية لمواجهة تلك الحركات السياسية او العسكرية الراضية او المتمردة على السلطة القائمة.

ويبدو ان فيضانات دجلة والفرات تختلف عن الكثير من فيضانات الأنهار الأخرى في العالم اذ " ان سلوك دجلة والفرات لا يخضع الى أي نظام معين اي ان ما يحدث في سنة ما سواء كان فيما يتعلق بارتفاع منسوب مياه الفيضان او ما يختص بكمية تصريفه السنوي لا يمكن ان يستتج منه ما قد يحدث في السنة او سنوات التي تليها، كما ان لكلا النهرين نظامه الخاص فان ما يحدث في دجلة لا يحدث دائما في الفرات" <sup>(٢٤)</sup>.

كما ان انتشار أمراض الطاعون والكوليرا وغيرهما من الكوارث الطبيعية التي أصابت العديد من مناطق العراق في مختلف مراحل تاريخه القديم والوسيط والحديث<sup>(٢٥)</sup>، كثيرا ما كان يسبب الموت والرعب والمجاعة ولذلك نجد من الكتاب من كان متشائما الى الدرجة التي تجعله يعتقد بالقول: " والحقيقة التي يمكن الجزم بها هي أننا لا نستطيع تحديد عقد من الزمن يمكن أن يوصف بالهدوء والاستقرار في العراق، بل يمكننا القول أن كل عقود أو قرون العراق كانت موسومة بالفوضى والحروب والانتقالات ان لم يكن بين العراق ودول أخرى فانها تكون بين الحكام والحكام أو بين القبائل... " <sup>(٢٦)</sup>.

#### ٤. صراع الثقافات المتنوعة في تكوين المجتمع العراقي:

تكون وما زال يتكون المجتمع العراقي من عدة جماعات اجتماعية هي: (البدوية . الجبلية . الريفية . المدنية)<sup>(٢٧)</sup>، بمعنى آخر، ان ثقافة العناصر المكونة للمجتمع العراقي، كانت في حالة من التفاعل المستمر سلماً ام حرباً، وفقاً لرؤية او ثقافة كل جماعة من تلك الجماعات، المكونة للمجتمع. وعلى الرغم من وجود عناصر موحدة كثيرة، كلغة التفاهم المشتركة (العربية) في معظم الأحيان بين مختلف الجماعات السكانية، وكذلك الدين المشترك (الاسلام) لنسبة عالية من السكان، ووحدة التفاعل الحضاري العامة المشتركة منذ عدة عصور فضلاً عن مصدر الحياة الأول (دجلة والفرات)، " غير ان التناقص الظاهري في الدم والديانة ووحدة المجتمع كان يضم اختلافات مفعمة بالأهمية"<sup>(٢٨)</sup>، ولذلك فان الخليط المكون (قومي . ديني . طائفي . سياسي . اقتصادي) والمتفاعل مع الثقافات الأجنبية الوافدة (الشرقية والغربية)، خلق توازناً نفسياً واجتماعياً جديداً.. فالثقافة البدوية القبلية مثلاً (ذات الطابع الثأري تقوم على أساس تناقض داخلي [(الغزو والقتال) يقابل (الكرم والحماية والاستغاثة)].. والثقافة الدينية: ذات الطابع الحضري، تقوم على أساس بناء الدولة، القائمة على مبادئ (العدل والمساواة) ومحاولة تقليل القسوة والتخريب<sup>(٢٩)</sup>، و(الثقافات القومية المختلفة، والقبيلة المختلفة)، تشترك جميعاً في معادلة وجود جمعي نهائي يقوم على أساس القبول بتلك المعادلة وهي (التناقض . التوازن).

#### ٥. ظاهرة الاحتلالات الأجنبية المتكررة:

وظاهرة (الاحتلالات) المتكررة وان كانت ظاهرة انسانية عامة، الا انها شكلت ظاهرة متميزة في تاريخ العراق وعبر مختلف المراحل، وبلغت حدوداً ونسباً كبيرة جداً، بحيث شكلت نسبة الحكم الأجنبي للعراق (٨١,٧٢ %)، في حين شكلت ظاهرة الحكم العربي كله، بما فيه نسبة حكم العراقيين (٢٨,١٨%)، في حين شكلت نسبة حكم العراقيين لانفسهم (١٢%)<sup>(٣٠)</sup>، نتيجة لاطماع الأقبام المحيطة بالعراق وغزوهم له في الغالب، او حتى البعيدة أحياناً وعلى مر التاريخ، وترتبت على تلك الظاهرة نتائج كارثية مدمرة للمجتمع العراقي دائماً من مثل:

اشاعة ظاهرة التدمير او التبيد او السرقة للموارد الاقتصادية والحضارية والثقافية الأساسية المتعمدة في البلاد، كأنظمة الري والزراعة والصناعة والتعليم والمقتنيات الأثرية القديمة في مراحل التاريخ الحديث والمعاصر.

بروز ظاهرة القمع والاذلال المتعمد في التعامل مع أبناء البلاد من خلال مظاهر الاستبداد السياسي والقمع العسكري.

محاولات اثاره الفرقة الاجتماعية بين أفراد المجتمع العراقي، بوسائل سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة (كالحروب او الصراعات)، او (الاشللية (الكتل)، الحزبية او العشائرية او

الدينية او الطائفية او العنصرية... الخ). من خلال عناصر حاولت ربط مصالحها الخاصة مع مصالح المحتل الأجنبي، ليس في مراحل الاحتلال العسكري المباشر حسب وانما في مرحلة ما قبل الاحتلال وبعده. فضلا عن الاسقاطات التي قد يخلقها المرتبطون والمستفيدون من المحتلين بعد رحيلهم أيضا، ولعل واحدة من نتائج الاحتلالات الأجنبية المستمرة للعراق، انها أدت الى محاولات تزويق وتعميم ثقافة الفرقة بين أفراد المجتمع الواحد واستغلال بعض العناصر الداخلة في تكوينه المجتمع العراقي، اي تصوير او خلق حالة من الصراع بين الولاءات الجزئية الصغيرة، لتقيت الذهنية والنفسية أحيانا ولاسيما بين الفئات الجاهلة او أنصاف الجاهلة، والولاء الوطني الكبير للعراق لأسباب وغايات سياسية واقتصادية (فئوية وشخصية)، لا اجتماعية كما حاول أصحاب تلك الأغراض طرحها كشعارات حقيقية عامة (٣١).

محاولات (تقوية او أضعاف) النظام الاجتماعي القائم في الريف بشكل خاص على أساس القبيلة او العشيرة بين الشيخ وأبناء القبيلة وفقا لمصلحة الحكام في كل مرحلة، فالعثمانيون مثلا حاولوا اضعاف شيخ العشيرة بعد اصدار قانون الأراضي العثماني سنة ١٨٥٨، واستخدم البريطانيون سياسية مغايرة قامت على أساس تقوية سلطة الشيخ (٣٢).

خلق آثار اجتماعية جانبية جديدة نتيجة الاحتلال الأجنبي، تتمثل في نقل معطيات الثقافة الأجنبية للمحتل من خلال استخدام وسائل جديدة في البلاد المحتلة كطراز الأبنية التي استخدمها المحتل لأغراضه الخاصة، ونقل وسائل ثقافته المتمثلة بالأدب والموسيقى والغناء، وأساليب حياته وسلوكياته اليومية كاللباس وأنواع الأطعمة والأسلحة وغيرها (٣٣)، او القيام بأعمال او ممارسات تكون بمثابة ردود أفعال على وجود المحتل. ومن أمثلة ذلك ما وجود من أزياء كزي (البوشية) (٣٤) الذي وجد في عهد التركمان (القرة قوينلوا والآق قوينلوا) (٣٥). كرد فعل على سلوكيات الجنود المحتلين. وعلى الرغم من ذلك كله، فان تلك الاحتلالات أثرت من جهة أخرى، فأدت الى فتح آفاق جديدة، وتفاعل حضاري وانساني بين الشعوب التي جاءت مع المحتلين، وبين الشعب العراقي أحيانا.

٦. غالبا ما كانت أنظمة الحكم المحلي (الوطني) أنظمة قمعية مستبدة بحيث تجاوزت مظاهر الاستبداد الأجنبي.

ومن أمثلة ذلك في التاريخ المعاصر، طبيعة نظام القمع في (عهود حكم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف والبعث) والذي تجاوز القمع في عهود الاحتلال والانتداب البريطاني، او العهد الملكي الذي وصف بالنظام المرتبط بالاستعمار. ولذلك غالبا ما وجد، أغلب زعماء العراق المحليين، ينتهون نهايات مأساوية ودموية (٣٦)، (اغتيال وقتل وسحل في الشوارع ورمي بالرصاص وشنق وسجون وتعذيب، ومحاكمات صورية). والأمثلة على كثيرة: العائلة المالكة جميعهم قتلوا،

( بكر صدقي) اغتيال، ( عقداً مايس الأربعة ١٩٤١) اعدام بالرصاص، ( عبد الاله ونوري السعيد)، قتل وسحل، ( عبد الكريم قاسم)، ( رفعت الحاج سري، ناظم الطبقجلي) اعدام بالرصاص، ( عبد الوهاب الشواف) قتل وسحل، ( عبد السلام والبكر) موت غامض ومريب، ( ناظم كزار) تعذيب واعدام، ( عبد العزيز العجيلي) تعذيب وقتل بالسم<sup>(٣٧)</sup>، ( صدام، طه ياسين رمضان وبرزان التكريتي) شنق، وهناك صور أخرى أكثر بشاعة مورست ضد آخرين في سجون نفرة السلطان وقصر النهاية، ومديرية الأمن العامة والمخابرات وغيرها، حسب بعض الروايات الشفاهية المنقولة عن قسم من السجناء الناجين.

### ثانياً: صفات المجتمع العراقي المتأصلة (الحقائق الذاتية):

مثلت العوامل الموضوعية، عوامل تحديات مستمرة أمام المجتمع العراقي، وعبر التاريخ، وتلك التحديات تقتضي ردود أفعال او استجابات، بموجب قانون (التحدي والاستجابة) الذي طرحه المؤرخ والمفكر البريطاني توينبي. ومما يؤكد ردود الأفعال السريعة او قوة الاستجابة عند العراقيين نتيجة التحديات (الطبيعية والسياسية والاقتصادية) الصعبة، اكتشافهم لأول مدرسة في العالم<sup>(٣٨)</sup> وأول نظام حكم ديمقراطي في العالم في سومر وليس أوربا او اي مكان آخر<sup>(٣٩)</sup> كما أنهم أول من اكتشف نظام الامبراطورية<sup>(٤٠)</sup> في أكد وأول تقويم زراعي<sup>(٤١)</sup> وقدرة العراقيين على تسخير الطبيعة لخدمتهم في سبيل اقامة مشاريع الري الضخمة والسيطرة على مياه الفيضانات المدمرة<sup>(٤٢)</sup>. وأجمالاً يمكن القول ان هنالك العديد من الصفات المتأصلة في طباع المجتمع العراقي كله بحيث صارت تطبع المجتمع العراقي وتمنحه خصوصية بين بقية المجتمعات الأخرى على مدى تاريخه الطويل ومن ابرز تلك الصفات:

غالباً ما تكون أساليب الحياة تقليدية مغروسة في الماضي: فمن الملاحظ ان المجتمع العراقي ما زال حتى يومنا، مجتمع تقليدي مغروس بالماضي، ويحاول معظم أفراده محاكاة الماضي، لا الاستفادة من دروسه الماضية. والأمثلة على ذلك عديدة، فقد وجد مثلاً، ان طراز المنازل التي استخدمها العراقيون في الريف، وهي (الأكواخ) المصنوعة من الأغصان المتشابكة والتي تغطي بشقف من البردي (الحصران)، وتقوى بالطين، وما زالت مثل تلك المنازل موجودة حتى الوقت الحاضر. كما ان وسائل النقل بصورة عامة، ومنها وسائل النقل النهري (كالقفة والكلك) في بعض مناطق شمال العراق ووسطه، والبري ما زال بعضها موجوداً الى وقت قريب، بل ان بعضها من مثل (الكلك) ما زال موجوداً حتى وقتنا الحاضر، وهي القوارب النهريّة، التي استخدمها العراقيون القدماء فالقفة ظلت مستخدمة في بعض المناطق الى منتصف الأربعينات وربما الخمسينات في القرن الماضي، والكلك ما زال مستخدماً الى اليوم في بعض المناطق<sup>(٤٣)</sup>.

أما وسائل النقل البري، فكانت الماشية، كالحمير والبغال والخيول، التي استخدمت منذ أقدم العصور في العراق القديم، وما زالت حتى الوقت الحاضر تجوب حتى الشوارع الرئيسية في المدن الكبرى بضمنها العاصمة، بغداد.

وفي جنوب العراق وبخاصة في مناطق الأهوار، فإن الأغلبية السكانية، كانت تعيش في بيوت من القصب والحصران، وتتنقل في قوارب صغيرة، وهي طويلة ومدببة المقدمة، المصنوعة من الأخشاب المطلية بالقار تسمى محليا (المشاحيف)، وتتركز معيشتهم على حيوان الجاموس، وصناعة الحصران من القصب المستخدمة في بناء البيوت وكفرش في المنازل، وتستخدم في الأهوار، ما يعرف بظاهرة (الجبيشة) وهي عبارة عن جزيرة صغيرة داخل الهور، كما انهم يقومون بذات الأدوار الاقتصادية، الصيد وزراعة المحاصيل الزراعية (الحبوب) <sup>(٤٤)</sup>، بل وجد مثال يؤكد حقيقة التقليد في الملبس أيضا، إذ لوحظ ان البابليين القدامى كانوا يرتدون الاردية الكتانية والصوفية الطويلة التي تهبط الى اقدمهم، وفوق ذلك تأتي العباءة، كما كانوا ينتعلون الصنادل (الخف او النعل)، وهي خاصة ببلاد الرافدين، ويلفون العمائم حول رؤوسهم، ويتعطرون بالطيب، وهذه الألبسة ما زالت هي الشائعة حتى يومنا هذا، ربما باستثناء (العمائم) او ما كان يسمى بالدارجة في بغداد بـ (الجرأوية)، في حين استبدلت في الريف بـ (العقال والكوفية) في الأرياف، وهي جميعها ما زالت تستخدم حتى اليوم في مناطق الأرياف، وانتقل الكثير منها الى جميع المدن، بدلا من تطورها الى أشكال متطورة او اختفائها كليا؟! ومن الغريب ان نجد مثلا بعض العادات الشائعة اليوم ترجع جذورها الى المجتمعات العراقية القديمة، ومنها مثلا عادات التقبيل او تحية الصباح <sup>(٤٥)</sup>.

كما ان طريقة الخبز الذي كانت تتناولته القبائل العربية (البدوية) التي كانت تخبز على شكل فطيرة على موقد معدني تسمى (صاج) <sup>(٤٦)</sup>، وفي المناطق الريف الجنوبية هناك انواع من خبز الرز والشائع حتى اليوم وتسمى محليا (الطابق) و(الرصاع) و(السياح) <sup>(٤٧)</sup>.

ومما يؤكد طبيعة المجتمع التقليدية، هو انعدام الحرية الفكرية في معظم المراحل التاريخية، فمعظم أفراد في المجتمع العراقي، يرفضون التجديد في كل شيء من الأفكار او السلوك بل أحيانا كل ما هو جديد بما في ذلك المقتنيات الحضارية أحيانا والتي واجهت العديد من الصعاب، فمثلا واجهت المدرسة الحديثة عند دخولها للعراق أواخر العهد العثماني العديد من الصعوبات في ارسال الأولاد الى المدارس الحديثة، بل ان قسما من أفراد المجتمع حاربوا أمثال تلك المدارس <sup>(٤٨)</sup>. ولكن يلاحظ من جهة ثانية، اذا ما أصر شخص ما على فكر او سلوك جديد او تبنى قضية ما وقاوم الفكر المحافظ وانتصر، فسوف يكون هو الآخر مثار تقليد قد يستمر لمدة غير محدودة، ولذلك لا غرابة ان نجد الشعوذة والسحر التي مارسها الكهان البابليون، ما زالت تمارس بأسلوب محاكاة البابليون القدماء ولكن تحت أغطية دينية أحيانا، في الوقت الحاضر، كما مارس البابليون القدماء

تفسير الأحلام، و".... المواطن البابلي كان يعتبر اللحم مساويا للحقيقة، وبناءا على ذلك كانت رؤية الأله في الحلم تعني نفس رؤيته في الحياة الحقيقية، اذ ليس من المهم ان يكون الانسان نائما او ماشيا".<sup>(٤٩)</sup>.

**طغيان الصفة العشائرية على التحضر كلما ضعف دور الدولة، والعكس بالعكس:** فقد انقسم النظام الاجتماعي في المجتمع العراقي منذ زمن بعيد، الى ثلاثة أقسام، (سكان المدن والجماعات القبلية الساكنة خارج المدن وسكان الأهوار)، وبالنظر لأهمية الدينية والتجارية، والصناعية، والثقافية، للمدن فقد تميزت المدينة بمركز متقدم في مختلف المراحل التاريخية السابقة، كما ان السلطة الرسمية للدولة، تركزت في مواقع المدن، اما الجماعات القبلية وسكان الأهوار فقد عاشوا خارج المدن، وكانت القبيلة او العشيرة على الأرجح، وحدة اجتماعية مترابطة، لها قانونها الخاص وطريقة حياتها الخاصة، وولاؤها لشيخها وزعمائها الدينيين، قبل ولائها الى التنظيمات الرسمية للدولة<sup>(٥٠)</sup>. وظل المجتمع القبلي، يقوم على منظومة القيم البدوية القائمة على قيم (العصبية القبلية، الثأر والانتقام، الغزو والقتال، الشجاعة والنخوة والكرم)<sup>(٥١)</sup>، و(الفصل والدية)، والنظرة الى (المرأة، والعمل)، نظرة ازدراء واحتقار<sup>(٥٢)</sup>.

والفرد في المدينة يركن الى الدولة والقانون في حين الفرد في الريف غالبا ما كان يركن ولاسيما قبل سنة ١٩٥٨، الى قوة القبيلة او العشيرة.. اما في حالة غياب قوة الدولة الحامية، فان الفرد في المدينة، وجد نفسه مضطرا الى البحث عن قوى اجتماعية لحمايته، وغالبا ما كانت القبيلة او العشيرة، وربما احتوى بجماعات سياسية او دينية أخرى، كالأحزاب او الطوائف الدينية او غيرها.

**ضعف الثقة بين الحكام والمحكومين:** وكانت تلك واحدة من نتائج (الاحتلالات والاستبداد)، اذ لوحظ ان أفراد العشائر في الريف كانوا يفتقون كل حكومة لأنها ضد طبائع البداوة التي لا تحب القيود التي تفرضها الحكومات<sup>(٥٣)</sup>. ومن الملاحظات التي يجب ان لا تغيب عن البال، ان الظاهرة القبلية او العشائرية، ظلت ظاهرة مرتبطة بالسياسة، فكلما ضعفت سلطة الدولة، ظهرت قوة العشيرة او القبيلة بصورة أكبر، وكلما برزت قوة الدولة وساد التحضر الذي تمثله الدولة من خلال سيادة القانون والولاء الوطني، تراجع القبيلة والولاء لها. وتراجعت ظواهر (السلب والنهب)، لممتلكات الدولة وللأفراد (واقعة الشعيبة سنة ١٩١٤<sup>(٥٤)</sup>، وحصار الكوت ١٩١٦<sup>(٥٥)</sup>، وأحداث (الفرهود) ١٩٤١<sup>(٥٦)</sup>، كذلك في السنوات (١٩٩١، ٢٠٠٣).

اما في المدن فقد ارتبط بمستوى الوعي السياسي بشكل عام، ومما يلاحظ ان مستوى الوعي السياسي في العراق قد بدأ منذ أواخر العهد العثماني، وتساعد مع بداية الحرب العالمية الأولى، وذلك المستوى من الوعي هو الذي زاد او أضعف الثقة والمشاركة في الوعي والعمل السياسي، فقد

كان من نتيجة الاحتلالات الأجنبية ان العراقي أصبح لا يثق بالحكام، غالبا ما ردد شعار ( أنا شعليه) التي تعني ان الأمر لا يعنيني. (٥٧)

**التقاعس والكسل:** لاشك في ان تأثيرات الطقس والمناخ الحار في أيام عديدة من السنة، فضلا عن الرخاء الاقتصادي لقسم من أفراد المجتمع، ولذلك لم يكن مستغربا، ان وجدت ظاهر القبولة (الاستلقاء ظهرا)، بسبب حرارة الجو من جهة، والتي غالبا ما تمتع بها العراقي عاش حالة من الرفاهية الاقتصادية من جهة أخرى، ومن الملاحظ وحتى الوقت الحاضر، ان الموظفين في معظم دوائر الدولة (المدينة والعسكرية) يحاولون ان يضعوا (حدودا هلامية) للعمل والراحة، تحت مسميات شتى، فتجد قسما من الموظفون خلال أوقات الدوام الرسمي، يتظاهر بضرورة وجود وقت للراحة أو الفطور، وربما كان ذلك سببا في انتشار حالة التقاعس أو الكسل، التي تميز بها أعداد واسعة من افراد المجتمع العراقي، ولاسيما بالنسبة للجماعات ذات الحالة الاقتصادية الميسرة، ومنهم الموظفين في الوقت الحاضر.. اما الفقراء من أفراد المجتمع، ولاسيما الفلاحين قبل حركة التغيير سنة في ١٤ تموز ١٩٥٨، وكذلك ذوي الدخل المحدود كالعمال والحرفيين وغيرهم في جميع ميادين العمل الاقتصادي، فانهم أكثر نشاطا من أو الجماعات الاقتصادية الميسورة، بسبب التحديات الاقتصادية اليومية. ولعل حالة الحصار الاقتصادي التي فرضت على العراق، قد ولدت حالة من التحدي الاقتصادي خلال السنوات (١٩٩٠-٢٠٠٣)، هي الأخرى قد جاءت بنتائج مغايرة لقسم كبير من أعداد السكان في العراق من خلال الابتعاد عن مظاهر عديدة من أشكال التقاعس والكسل، وممارسة حركة عمل مضاعفة، نتيجة للتحديات الاقتصادية التي أثرت في العديد أفراد المجتمع، فتجد أعدادا واسعة من السكان من ذوي الدخل المنخفضة، ومنهم الموظفون بشكل خاص خلال تلك المرحلة، تخلى عن العديد من أوقات راحته وراح يعمل في أكثر من عمل واحد في اليوم الواحد.

**العراقي انسان شديد الحساسية في المواضيع التي تمس كرامته:** ولعل ذلك يتصل بطبيعته الازدواجية، على حد وصف الدكتور الورد في سلوك الانسان العراقي فهو (متعلم - وقبلي)، (سارق وكريم)، والمتقف العراقي (رافض ومستسلم).. الخ.

**ضعف الثقة بين الرجل والمرأة،** تحت مسوعات وشعارات قبلية وذات مسحة دينية أحيانا، ولاسيما في الريف من مثل (الحدار من خيرتهن).

**ظاهرة الاستعلاء لا التفاعل مع الآخر:** المتعلم على الجاهل، الشيخ على أفراد القبيلة، الضابط على الجندي أو الشرطي، الموظف على المراجع، أو المسؤول بشكل عام عن المعية، الأستاذ على الطالب، الأب على الأبناء... الخ.

النظرة التقليدية (العثمانية)، الى الوظيفة (الأفندي)، المنصب يعطي (هيبية وقيمة) ويجب التمسك بها، ولا يجوز تركها، الا في الظروف القاهرة (الاكراه او التصفية)، وحين يترك الفرد الوظيفة لسبب او لآخر، ينفذ ممن كانوا حوله.

ظاهر الحزن والتباكي على الماضي: ويتجسد ذلك بوضوح في الطقوس الدينية او الشعر او الغناء، منذ أقدم الأزمنة، فقد كانت "....الابتهالات التي تقدم لعشائر على مختلف النعوت.... وكان بيت الشعر المكرس للمديح يردف بيت آخر تذكر فيه أحزان المؤمن من مثل:

" يهرب قلبي

فيصعد كالطير في السماء

أنتِ كالحمامة

أنا أنحب كل يوم " (٥٨).

وهذا الشعر ربما يذكرنا بما يطلق عليه في الزمن الحاضر بشعر (الأبودية) في الشعر العامي. كما ان عددا من الترانيم التي تتأغي بها الأم وليدها في المهدي، ما زالت حتى يومنا هذا لا تخرج عن أطار الحزن. كما ان معظم الأغاني العراقية (المقامات، او الريفية) تبدأ بكلمات الحزمن مثل : (أه ، أوه، آخ ، آوف، يا ويلى ،آه يا ولي، يا يمة، يا يابه،...الخ) والمناسبات الدينية، او التواشيح الدينية غالبا ما تكون من نغمن حزين (الصبأ او البيات)، بل أحيانا حتى في مواسم الفرح تكون الأغاني الحزينة. ويبدو ان هذه الظاهرة عراقية قديمة، اذا غالبا ما كان المزاج البابلي مثلا على عكس المزاج المصري الذي حفل بمظاهر الحياة اليومية فضلا عن تعليقاتهم المرحية، من خلال الوثائق النادر التي وجدت في الآثار المكتشفة (٥٩).

١٠. التدين في العراق ظاهرة قديمة: وهي ترجع الى عصور ما قبل التاريخ، فقد وجد من بين الآثار المكتشفة في الوركاء تمثال البرونزي لملك عراقي قديم (٢٥٠٠ ق. م)، لا يتخلف من حيث المظهر الخارجي للرجل الدين الحالي (٦٠). كما وجدت (مذكرات الصانع البابلي)، تؤكد ظاهرة التدين في العراقي (٦١). وتشير قسم من المصادر التاريخية مثلا الى انه كان يوجد في مدينة بابل القديمة ثلاثة وخمسون معبدا لكبار الآلهة، وخمسة وخمسون معبدا صغيرا مكرسا لمردوخ، وثلاثمائة معبد صغير آخر لآلهة الأرض، وستمائة معبد صغير لآلهة السماء ومائة وثمانون مذبحا مقدسا للآلهة عشتار، ومثل هذا العدد للإلهين (نير كال) و(ادد)، واثنأ عشر مذبحا مقدسا لمختلف الآلهة، كما وجدت على لوح قديم في بابل يؤكد ذلك، ومجموع تلك المعابد بلغ (١٠٠٨) معبداً، في حين بلغ عدد المذابح المقدسة (٣٧٢) مذبحا، اي ان مجموع المعابد والمذابح المقدسة هو (١٣٨٠) معبدا ومذبحا مقدسا (٦٢)، في مدينة بابل الأثرية الصغيرة في معايير الحاضر.

ويبدو ان ظاهرة التدين الشكلي في عموم المجتمع العراقي، تعود الى ما يمكن تسميته وفقا للمثل الشائع اليوم (عادة مو عبادة)، أي يتحول (الدين) من فكر الى عادات اجتماعية مجردة من المحتوى.. ولذلك لم يكن مستغربا ان نجد شراب الخمر كان شائعا بين البابليين القدماء، و" كان الشراب يتم توزيعه أيضا بمعدل يزيد عن الغالون للفرد الواحد"<sup>(٦٣)</sup>. ويبدو لنا ان سبب ذلك يعود الى التمسك بقيم البدواة لا قيم الدين، وقيم البدواة تتناقض في الكثير من معانيها مع مبادئ الدين، او ان الدين لدى العديد من الأفراد يفهم بطريقة تتناسب مع حاجاتهم الشخصية والنفسية<sup>(٦٤)</sup>. بكلمة أخرى نجد ان ظاهرة التدين لدى العديد من أفراد المجتمع العراقي في مختلف مراحل التاريخ القديم والمعاصر، (الريف او المدن)، أضحت ظاهرة شكلية غير عميقة، وبخاصة كلما انتشر الجهل بين أفراد المجتمع، نتيجة لتكرار الحروب والكوارث المتلاحقة. ويبدو لنا، انه في ظل ظواهر الاحباط المتكررة والمتلاحقة، هي التي تدفع الانسان العراقي باتجاهين، فهو اما الى يتجه الى الأيمان وتسليم أمره الى الخالق، (الاله قديما)، او الكفر بكل شيء، ولذلك تكثر الجرائم في ظروف الحروب والكوارث، ومثل تلك الحالات تذكرنا بحالة العميان او فاقد البصر، الذين يتوزعون في ميولهم، بين المهن الدينية من مثل: (قارئ قرآن وشيخ دين وعاظ ديني او خطيب) او في المهن الفنية في مجال الغناء والموسيقى،(مطرب، عازف، ملحن). ويقر أستاذنا الوردي برأي (الدكتور فاضل الجمالي) حين قال عن قيم البدواة، التي يتمثل بها الجهلة وهم أعداد كبيرة في المجتمع العراقي: " ويجب ان نعترف مع ذلك ان عقيدتهم هذه لم تمنعهم عن العصبية والغزو والثأر والحمية وغير ذلك من القيم البدوية. فهم لا يرون اي تناقض بين شدة تمسكهم بالعقيدة الاسلامية وشدة تمسكهم بالقيم البدوية، او لعلمهم لا يفكرون بذلك أصلا "<sup>(٦٥)</sup>.

ولذلك لا نستغرب حين نجد ان عددا غير قليل من اللصوص والقتلة، بعد انجاز جرائمهم يحاول قسم منهم القيام بالطقوس او الشعائر الدينية، كزيارة المراقد المقدسة، او الصلاة او الحج او الصيام، بل ان بعضهم مارس العديد من السلوكيات المتعارضة مع القيم الدينية الأصيلة، فقد وجد الكثير من اللصوص الذي ينتشرون في أماكن العبادة الدينية، كالمعابد والأضرحة، ولذلك كلما حصل تواجد كثيف في تلك الأماكن تجد رجال الدين يحذرون من السرقة. بمعنى أدق هناك صراع خفي، صراع حقيقي بين التدين الحقيقي والبدواة.

### الخاتمة :

من كل ما تقدم يمكننا القول، ان تفاعل العناصر المكانية والبشرية في العراق في اطار التاريخ المشترك او العنصر الزماني لجميع تلك العناصر، خلق مركبا جمعيا ذا مواصفات نفسية خاصة، تقوم على أساس مواجهة التحدي المستمر للتفاعلات المكانية (الطبيعية) الداخلية، وفي الوقت نفسه فان هذا المركب متحفز دائما للتحديات البشرية الوافدة الى ساحته بصورة غير

سلمية (حرب او الاحتلال) باستمرار، وثنائية التحدي (الداخلي والخارجي)، (الطبيعية والبشرية)، جعلت من تركيبة المكون الاجتماعي والنفسي العراقي، قادرا على مواكبة الأحداث وتفاعل جميع المكونات الداخلة في تركيبته الخاصة، وقبول التحديات الخارجية في حدود زمانية معينة.. ولعل ذلك خلق مكونا ذا مركب، نفسي - اجتماعي خاص بجماعة تميزت بالعبقرية الاجتماعية والسياسية القادرة على خلق التناغم بين جميع المكونات الداخلية الخاصة به وتدويبها لصالح المكون المشترك مع امكانية التفاعل والتجدد الدائم مع مختلف العناصر والظروف المحيطة به.

جدول رقم (١)

سنوات الحكم الأجنبي للعراق من قيام الدولة حتى الفتح الإسلامي (١٥٠٠ ق.م - ٦٣٦ م)

الحكم الأجنبي	المرحلة التاريخية	تاريخه (من - الى)	مجموع سنوات الحكم	نسبة الحكم
كاشاني (فارسي)	العصر الباطني الوسيط	١٥٠٠ ق.م - ٦٣٦ م	٨٧٤ سنة متواصلة من أصل ٣٠٠٠ سنة تقريبا	١٣,٢٩% أجنبي وطني ٧٠,٨٧%
فارسي - أوربي	اخميني - فرشي - ساساني	٥٣٩ ق.م - ٦٣٦ م	١١٧٥ سنة حكم أجنبي من أصل ١٢٦٢ سنة للحكم ككل	٩٣,١٠% أجنبي وطني ٦,٩%
مجموع سنوات الحكم الأجنبي	قبل الفتح الاسلامي	١٥٠٠ ق.م - ٦٣٦ م	٢٠٤٩ سنة حكم أجنبي متواصل من أصل ٣٦٣٦ سنة	٥٦,٣٥% أجنبي وطني ٤٣,٦٥%

جدول رقم (٢)

يمثل سنوات الحكم الأجنبي في العراق مقارنة مع سنوات الحكم العربي الاسلامي

(٦٣٦ - ١٩٥٨) م

حكم او نفوذ أجنبي	الأقوام	تاريخه	عدد سنوات الحكم او النفوذ	نسبة سنوات الحكم
من القادسية الى نهاية حكم	عربية وفارسية	٦٣٦ - ٨٣٣ م	٢٢ سنة نفوذ البرامكة من أصل ١٩٧ سنة حكم بصيغة عربية	١٦,١١% حكم أجنبي ٨٤,٨٨% حكم عربي

المأمون			
من بداية حكم المعتصم الى بداية العهد الجمهوري	أقوام مختلفة (أتراك، مغول، فرس، مماليك، عثمانيون، بريطانيون).	١٩٥٨ . ٨٣٣ م	١٠٢١ سنة حكم أجنبي من أصل ١١٢٥ سنة للحكم ككل حكم عربي ١٠٤ سنة فقط. ٩٠، ٧٥ % حكم أجنبي ٩، ٢٥ % حكم عربي
من انهيار الحكم العباسي الى بداية العهد الجمهوري	أقوام مختلفة	١٩٥٨ . ١٢٥٨ م	٧٠٠ سنة حكم أجنبي متواصل قبل العهد الجمهوري (باستثناء حكومات محلية محدودة (الموصل . البصرة) ٩٩ % حكم أجنبي ١ % حكم عراقي

### جدول رقم (٣)

سنوات الحكم الأجنبي مقارنة مع سنوات الحكم العربي الاسلامي والعراقي للعراق من قيام نظام

الدولة في العراق ١٥٠٠ ق.م حتى ١٩٥٨

سنوات الحكم الأجنبي الكلي للعراق عبر التاريخ (قبل الاسلام وبعده) ١٥٠٠ ق.م . ١٩٥٨ م	أقوام مختلفة	٢٨٢٦ سنة حكم أجنبي من أصل سنوات الحكم الكلية ٣٤٥٨ سنة	٧٢، ٨١ % حكم أجنبي فقط
سنوات حكم العرب والعراقيين الكلي عبر التاريخ ككل (قبل الاسلام وبعده) ١٥٠٠ ق.م . ١٩٥٨ م	عرب مختلفون	٦٣٢ سنة حكم عربي وعراقي من أصل ٣٤٥٨ سنة	٢٨، ١٨ % حكم عربي (عراقي وغير عراقي)
سنوات الحكم العربي (غير العراقي) الكلي ١٥٠٠ ق.م . ١٩٥٨ م	عرب مختلفون	٣٠١ سنة عربي فقط من أصل ٦٣٢ سنة	٧٠، ٨ % (عربي غير العراقي)
سنوات الحكم العراقيين فقط.. الكلي ١٥٠٠ ق.م . ١٩٥٨ م	العراقيون فقط	٣٣١ عراقي فقط	٥٨، ٩ % عراقي فقط

### هوامش البحث:

(١) عبد الرحمن محمد عيسوي (د.)، دراسات في علم النفس الاجتماعي، بيروت، ينظر: ص ص

٢٣٧ - ٢٣٨.

- (٢) ينظر: علي الوردي (د)، شخصية الفرد العراقي، لجنة الثقافة والاعلام - مجلس محافظة ميسان، ٢٠٠٨، ص ص ٤-٣. ينظر كذلك؛ الحارث عبد الحميد حسن الأسدي (د.)، الشخصية العراقية، المعرفة (مجلة شهرية سعودية)، العدد ١٥٦. ربيع الأول ١٤٢٩ هـ / مارس ٢٠٠٨ م.
- (٣) عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات في علم النفس الاجتماعي، المصدر السابق، ينظر: ص ٢٣٧.
- (٤) ينظر: علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، المصدر السابق. ينظر كذلك؛ الحارث عبد الحميد حسن الأسدي، الشخصية العراقية، المعرفة (مجلة شهرية سعودية)، العدد ١٥٦ - مارس ٢٠٠٨.
- (٥) ينظر: ماري شهرستان (د.)، أسس الهوية، مجلة تحولات، العدد ٧- كانون الثاني، السبت ١٨ آذار (مارس) ٢٠٠٦ . او على موقع الانترنت على الانترنت: <http://www.daralhayat.com>
- (٦) علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، المصدر السابق، ص ٤.
- (٧) ينظر: ماري شهرست، المصدر السابق.
- (٨) ينظر: عز الدين دياب (د.)، انثروبولوجيا التنمية الثقافية، مجلة الموقف الأدبي، (دمشق - اتحاد الأدباء العرب)، العدد ٤٣٣، أيار ٢٠٠٧.
- (٩) ينظر: الحارث عبد الحميد حسن الأسدي، المصدر السابق.
- (١٠) عن أهمية موقع الجوار: ينظر: عبد الرزاق عباس حسين (د.) الجغرافية السياسية، بغداد، ١٩٧٦. ص ٢٩٣. ٢٩٥.
- (١١) الجيوبولتكس، من المفاهيم الجغرافية . السياسية التي تبلور ظهورها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتعني بشكل موجز دراسة وتحليل المقومات الجغرافية للدولة وتأثيراتها في السياسة الخارجية للدولة. للمزيد من المعلومات. ينظر: عبد الرزاق عباس حسين، المصدر السابق، ص ص ٣٨٦. ٤٠٠.
- (١٢) ينظر: علاء الدين القبانجي (د.)، سايكولوجية العنف في العراق، مجلة النبأ، (شهرية)، بيروت، العدد ٤٨، في آب ٢٠٠٠.
- (١٣) سامي سعيد الأحمد (د.)، (ترجمة)، تاريخ العراق في القرن السابع ق.م.، ط١، بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٨.
- (١٤) ليو وبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، ط٢، بغداد، ١٩٨٦. ينظر كذلك؛ سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ٦٤.

(١٥) من الملاحظ ان الهجرات البدوية العربية الى العراق ظلت متواصلة حتى العصر الحديث، من ذلك مثلا ان قسما من قبيلة تميم، استقروا شمال مدينة بغداد في منطقة عقرقوف في بداية القرن التاسع عشر. ينظر: علي الوردي (د.)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥، ص ص ١٤٧. ١٤٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(١٧) عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، البصرة، ١٩٦١، يلاحظ أثر مرض الطاعون، ينظر: ص ص ٥٦ - ٥٧.

(١٨) ينظر: علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، المصدر السابق، ص ١١٨. ينظر كذلك؛ جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٧٩، ص ص ١٤. ١٥.

(١٩) أحمد سوسة (د.)، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية، ج ١، بغداد دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣، ينظر: ص ص ١٦. ٣١.

(٢٠) باقر جاسم محمد، الهوية الوطنية: محاولة في التعريف الوظيفي، منشورة موقع مؤسسة البلاغ: <http://www.balagh.com>

(٢١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢٢) أحمد سوسة، المصدر السابق. ص ٩٣.

(٢٣) أحمد سوسة، المصدر السابق. ص ص ٨٩. ٩٣.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ١٤٦.

(٢٥) جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم التكريتي، بغداد، ١٩٨٤، ينظر: ص ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢٦) علاء الدين القننجانجي، المصدر السابق.

(٢٧) ستار نوري العبودي (د.)، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني، ط ١، قم. ايران ٢٠٠٧، ينظر: ص ص ١٥. ٢٦.

(٢٨) ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط ٤، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م) ايران؛ ينظر كذلك؛ ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ص ص ١٢٤ - ١٢٧.

(٢٩) علي الوردي، المصدر السابق، ينظر: ص ص ٥٠. ٥١.

(٣٠) ينظر: الجدول رقم (١) والجدول رقم (٢) في نهاية البحث.

(٣١) عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ط٢، بغداد، ١٩٦٧، ينظر: ص٣٩.

(٣٢) ستار نوري العبودي، المصدر السابق، ينظر: ص ٨٩ . ١٠٢ .

(٣٣) ابن خلدون، المقدمة، بيروت، (ب.ت)، ينظر: ص ١١٦ .

(٣٤) البرقع او (البوشية) كما تسمى بالدارجة: غطاء كامل لوجه المرأة، وغالبا ما صنع من أنسجة الصوف، او شعر الخيل بحيث يحجب وجه المرأة عن الآخرين. ينظر طارق نافع الحمداني(د.)، المدينة العراقية في العصر العثماني، (٢)، ضمن حضارة العراق، وزارة الاعلام، ج١٠، بغداد، ١٩٨٥، ينظر: ص ٢١٨ .

(٣٥) نوري عبد الحميد خليل، (د.)، المرأة وأثرها في المجتمع، ضمن: حضارة العراق، ج١٠، بغداد، ١٩٨٥، ينظر: ص ٢٢٩ .

(٣٦) ينظر: د. سيار الجميل، اللحظات الأخيرة: متى يتعلمها زعماء العراق ؟؟ ..

على مواقع الانترنت:

. http://albadeal.com

(٣٧) ينظر: ستار نوري العبودي: عبد العزيز العقيلي . حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق ١٩١٩ . ١٩٨١ ، ط١ ، بغداد ٢٠٠٩ ، ص ص ١٦٥ . ١٨٠ ينظر كذلك: عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ط ١ ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٤ ، ينظر مثلا: ص ص ٤٧٠ . ٤٨١ .

(٣٨) س. ن. كريم، هنا بدأ التاريخ، ترجمة ناجية المراني، بغداد، ١٩٨٠، ينظر: ص ص ٨ . ١٦ .

(٣٩) المصدر نفسه، ينظر: ص ص ٢١ . ٢٨ .

(٤٠) احمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر التاريخ، بغداد ١٩٧٩، ينظر: ص ١٣٧ .

(٤١) المصدر نفسه.

(٤٢) طه باقر وآخرين، تاريخ العراق القديم، ج٢، بغداد، ١٩٨٠، ينظر: ص ١٢٠ .

(٤٣) ينظر: ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي ...، المصدر السابق، ص ٥١ . ٥٣ .

٨٤

(٤٤) سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ص ٥٢ . ٥٣ .

(٤٥) جورج كونتينو، المصدر السابق، ص ص ١٢٢ . ١٢٣ ينظر كذلك؛ وص ١٢٦ .

(٤٦) جورج كونتينو، المصدر نفسه، ص ١٣٣ .

- (٤٧) ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي ....، المصدر السابق، ينظر: ص ص ١٠٣. ١٠٤.
- (٤٨) ينظر: يوسف كركوش تاريخ الحلة، القسم الأول، قم . ايران، ١٤١٣هـ، ص ص ١٦٠-١٦١.
- (٤٩) جورج كونتينو، المصدر نفسه، ص ٤٨٢. وص ٤٧٨.
- (٥٠) سامي سعيد الأحمد، المصدر نفسه، ينظر: ص ص ٢٢٩. ٢٣٣.
- (٥١) ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي...، المصدر السابق ينظر: ص ص ٤٧. ٥٨.
- (٥٢) مكي الجميل، البدوة والبدو في البلاد العربية، سرس الليان، ١٩٦٢، ينظر: ص ٢٣.
- (٥٣) عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص ٣٩.
- (٥٤) ينظر: علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، المصدر السابق، ص ص ٩٥-٩٦؛ ينظر كذلك؛ ستار نوري، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني، المصدر السابق، ص ص ٣٢. ٣٣.
- (٥٥) رسل برادون، حصار الكوت، ج ٢، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي، بغداد، ١٩٨٥، ينظر: ص ص ١٥٢. ١٥٣.
- (٥٦) ينظر مثلاً: هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ط ٢، قم . ايران، (ب.ت)، ص ١٧.
- (٥٧) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، المصدر السابق، ينظر: ص ص ٣٥٤-٣٥٦.
- (٥٨) جورج كونتينو، المصدر السابق، ص ص ٣٥٠. ٣٥١.
- (٥٩) المصدر نفسه، ينظر: ص ١٢٢.
- (٦٠) ميزوبوتاميا، (مجلة عراقية)، مدن العراق القديم، ينظر: العدد ٦.٥. ٢٠٠٥، ص ٦٠.
- (٦١) جورج كونتينو، المصدر السابق، ينظر: ص ١٢٢.
- (٦٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٦٣.
- (٦٣) المصدر نفسه، المصدر السابق، ص ١٣٤.
- (٦٤) ينظر: علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، المصدر السابق، ص ص ١٠٠-١٠٦.
- (٦٥) المصدر نفسه، ص ٩١.

#### المصادر والمراجع:

ابن خلدون، المقدمة، بيروت، (ب.ت).

أحمد سوسة (د)، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٣.

أحمد سوسة، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر التاريخ، بغداد، ١٩٧٩.

باقر جاسم محمد، الهوية الوطنية: محاولة في التعريف الوظيفي، منشورة موقع مؤسسة البلاغ: -  
<http://www.balagh.com>

جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وأشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، بغداد، ١٩٧٩.

جيمس ريموند ولستيد، رحلتي الى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة سليم التكريتي، بغداد، ١٩٨٤.

الحارث عبد الحميد حسن الأسدي (أ.د.)، الشخصية العراقية، المعرفة (مجلة شهرية سعودية)، العدد ١٥٦ - ربيع الأول ١٤٢٩ هـ مارس ٢٠٠٨ م.

رسل برادون، حصار الكوت، الجزء الثاني، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وعبد المجيد ياسين التكريتي، بغداد، ١٩٨٥.

س.ن. كريم، هنا بدأ التاريخ، ترجمة ناجية المراني، بغداد، ١٩٨٠.

سامي سعيد الأحمد (د.)، تاريخ العراق في القرن السابع ق.م.، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠٠٢.

ستار نوري العبودي، المجتمع العراقي في سنوات الانتداب البريطاني، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، قم - ايران (د. ت.).

ستار نوري العبودي، عبد العزيز العقيلي . حياته ودوره العسكري والسياسي في العراق ١٩١٩-١٩٨١، الطبعة الأولى ، بغداد، ٢٠٠٩.

ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الرابعة، ايران، (د. ت.).

سيار الجميل (د.)، اللحظات الأخيرة: متى يتعلمها زعماء العراق؟؟

<http://albadeal.com>

طارق نافع الحمداني (د.)، المدينة العراقية في العصر العثماني (٢)، ضمن حضارة العراق، وزارة الأعلام، الجزء العاشر، بغداد، ١٩٨٥.

طه باقر وآخرين، تاريخ العراق القديم، الجزء الثاني، جامعة بغداد، ١٩٨٠.

عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٦٧.

عبد الرحمن محمد عيسوي (د.)، دراسات في علم النفس الاجتماعي، بيروت (د. ت.).

عبد الرزاق عباس حسين (د.) الجغرافية السياسية، بغداد، ١٩٧٦.

- عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، البصرة، ١٩٦١.
- عز الدين دياب (د.)، انثروبولوجيا التنمية الثقافية، مجلة الموقف الأدبي، (دمشق - اتحاد الأدباء العرب)، العدد ٤٣٣، أيار ٢٠٠٧.
- عطا عبد الوهاب، سلالة الطين سيرة مأساة، ط ١، بيروت، ٢٠٠٤.
- علاء الدين القبانجي (د.)، سايكولوجية العنف في العراق، مجلة النبأ، (شهرية)، بيروت، العدد ٤٨، في آب ٢٠٠٠.
- علي الورددي (د.)، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥.
- ليو وبنهايم، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، الطبعة الثانية، بغداد ١٩٨٦.
- نوري عبد الحميد خليل، (د.)، المرأة وأثرها في المجتمع (١)، ضمن: حضارة العراق، وزارة الاعلام، ج ١٠، بغداد، ١٩٨٥.
- ماري شهرست (د.)، أسس الهوية، مجلة تحولات، العدد ٧- كانون الثاني، السبت ١٨ آذار (مارس) ٢٠٠٦.
- مكي الجميل، البدوة والبدو في البلاد العربية، سرس اللبان، ١٩٦٢.
- ميزوبوتاميا، (مجلة عراقية)، مدن العراق القديم، العدد ٦.٥ - ٢٠٠٥.
- يوسف كركوش تاريخ الحلة، القسم الأول، قم - ايران، ١٤١٣ هـ
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>